



إهدارات مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية
كلية العلوم الإسلامية - جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي - الجزائر

فرقة البحث (P.R.F.U): تاريخ وادي سوف الثقافي بين 1900-1988م

بحوث الملتقى الدولي السابع المقاومة الثقافية لأعلام الفكر الإيملاحي في الجنوب الشرقي الجزائري ما بين 1900 - 1962م

بتاريخ: 05 و06 ذو القعدة 1443هـ / الموافق ل 04 و05 جوان 2022



جهود الأئمة ومعلمي القرآن ببلدة ورماس في المقاومة الثقافية والحفاظ على الهوية الجزائرية الإسلامية

*The efforts of the imams and teachers of the Qur'an in the town
of Ourmes in the cultural resistance and the preservation of the
Algerien Islamic identity.*

د / بشير بوساحة

مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية.

معهد العلوم الإسلامية، جامعة الوادي (الجزائر)

Bousaha-bachir@univ-eloued.dz



ملخص: تهدف هذه الدراسة إلى الوقوف على جانب من جوانب المقاومة الثقافية أثناء المرحلة الاستعمارية للجزائر من 1900 إلى 1962. وذلك من خلال بيان الدور الفعال للأئمة ومعلمي القرآن الكريم في تحفيظ القرآن، وتأكيدهم على تطبيق ما جاء فيه، وتثبيت التمسك باللغة العربية. واعتمدت الدراسة على منهج تاريخي، بعرض نماذج من الأئمة ومعلمي القرآن في بلدة ورماس بوادي سوف. وطريقتهم في تحفيظ القرآن وزرع القيم في أوساط طلبتهم، وقد خلصت هذه الدراسة إلى أن ما تشهده المنطقة من كثرة في الحفاظ القرآن الكريم هو ثمرة تلك الجهود الكبيرة التي يبذلها الأئمة ومعلمي القرآن، مع تضافر جهود كل أبناء المنطقة لتوفير الظروف المناسبة لتحقيق ذلك، رغم كل العوائق والتحديات، خاصة منها تلك التي كانت بفعل المستعمر الفرنسي.

الكلمات المفتاحية: المقاومة الثقافية؛ معلمي القرآن؛ بلدة ورماس؛ وادي سوف؛ القيم.

Abstract :

This study aims to stand on an aspect of cultural resistance during the colonial phase of Algeria from 1900 to 1962. This is done by clarifying the effective role of imams and teachers of the Holy Quran in memorizing the Quran, and their emphasis on the application of what was stated in it, and the consolidation of adherence to the Arabic language. The study relied on a historical approach, by presenting examples of the imams and teachers of the Quran in the town of Ourmes in Oued Souf. And their method of memorizing the Quran and instilling values among their students. This study concluded that the large number of memorizing the Holy Quran that the region is witnessing is the result of the great efforts made by the imams and teachers of the Quran, with the combined efforts of all the people of the region to provide the appropriate conditions to achieve this, despite all the obstacles and challenges, especially those that were caused by the colonizer French.

Keywords: cultural resistance; teachers of the Quran; Ourmes; Oued Souf; Value.

1. مقدمة

تعد منطقة الجنوب الشرقي من المناطق التي حافظت بشدة على هويتها الجزائرية الإسلامية، في مختلف الحقب، ومنها بلدات ولاية الوادي. هذا الأمر لم يأت من فراغ، بل هو نتيجة حرص وجهد يبذله أبناء هذه المناطق للحفاظ على هويتهم، وجعلها أساسا لثقافتهم وحياتهم. وكان الانتماء الإسلامي ومقوماته دائما هو أساس تلك الهوية. وهو ما انعكس كاهتمام شديد، في حفظ القرآن الكريم وتحفيظه والحرص على حلق الذكر والدروس الدينية والالتزام بأحكام الشريعة الإسلامية.

ورغم الممارسات الغاشمة من طرف المستعمر الفرنسي، وسعيه بمختلف السبل لطمس الهوية الجزائرية الإسلامية، إلا أن المجتمع الجزائري قابل كل تلك التحديات والعقبات الاستعمارية، بإصرار وعزم للمحافظة على هويته. فشكّل بذلك العمل الدؤوب والمساعي الحثيثة ما يسمى بالمقاومة الثقافية، والتي شملت جوانب عدة، لها ارتباطها بمكونات الهوية الجزائرية الإسلامية. وكان من بين أوجه ذلك النشاط، الجهد الذي بذله الأئمة ومعلمي القرآن، للحفاظ على كتاب الله محفوظا في الصدور، ومن ثم الحفاظ على اللغة العربية، لغة القرآن الكريم.

فكيف كانت الأوضاع العامة لمنطقة الجنوب الشرقي في الفترة الاستعمارية بين 1900 إلى 1962م؟ وما مدى المضايقات التي مارسها المستعمر الفرنسي للحد من المقاومة الثقافية؟ وكيف كان دور الأئمة ومعلمي القرآن في الحفاظ على كتاب الله، كونه الركيزة الأساسية للهوية الجزائرية الإسلامية؟

وتهدف هذه الدراسة إلى الوقوف على هذا الجانب من جوانب المقاومة الثقافية، وبيان مدى أهميته ودوره في الحفاظ على الهوية الجزائرية الإسلامية. ومن الأهداف كذلك إبراز بعض من الأئمة ومعلمي القرآن في بلدة ورماس، كان لهم دور مهم في هذا الإطار قبل استقلال الجزائر سنة 1962م، وقد استمرت جهودهم بعد الاستقلال كذلك، من أجل المحافظة على الهوية الإسلامية وتحفيظ القرآن الكريم.

وتهدف هذه الدراسة كذلك للمساهمة في الحفاظ على الذاكرة المحلية، والدفع نحو دراسات أخرى مماثلة لخدمة مثل هذه الأهداف، وتدوين الروايات الشفوية، التي تحمل في طياتها فصولا من تاريخ المقاومة بكل أشكالها منها المقاومة الثقافية، هذه الروايات لا يجب الاستهانة بها أو التقليل من شأنها، كيف لا وهي تحمل في طياتها تاريخا لتلك النشاطات والتحركات، التي كانت نتيجة جهد لم يدخر أصحابه منه شيء، بل كان بعضه يمثل تحديا للمستعمر الفرنسي وتهديدا لفاعله بالموت. ويُعدّ المنهج التاريخي هو المنهج الأنسب لمعالجة موضوع هذه الدراسة، مع اعتماد أسلوب العرض لبعض الأحداث والممارسات الاستعمارية،

وكيف واجهها المجتمع الجزائري. ثم عرض سيرة مختصرة لنماذج من الأئمة ومعلمي القرآن ببلدة ورماس، مع إبراز دورهم وطريقتهم في تحفيظ القرآن الكريم والقيم التي غرسوها بين تلاميذهم وبين أفراد المجتمع.

2. الوضع العام لمنطقة وادي سوف والجنوب الشرقي في عهد الاستعمار الفرنسي:

وصلت جيوش الاستعمار الفرنسي إلى منطقة الجنوب الشرقي، بعد أن بسطت سيطرتها على شمال الجزائر، وبدأت تتوغّل في أطرافها وتفرض وجودها بالقوة، للقضاء على بذور المقاومة المستميتة التي اصطدمت بها دون سابق إنذار. وقد ساهمت تلك المقاومة في تعطيل توغل القوات الفرنسية في أعماق الصحراء. ما أخر وصول المستعمر الفرنسي إلى مناطق الجنوب الشرقي والصحراء إلى ما يقرب خمسة عقود بعد احتلال الجزائر سنة 1830م¹. وفي سنة 1882م بسط المستعمر الفرنسي سيطرته على منطقة وادي سوف، وأصبحت ضمن المناطق العسكرية في الجنوب².

وقد كانت منطقة وادي سوف تعيش خارج الممارسة السياسية الثورية، بسبب الحظر الاستعماري لأي نشاط سياسي وطني. ومع ذلك عرفت المنطقة تحركات معارضة لسياستها الاستعمارية، كان أبرز محرك لها هو الشيخ الهاشمي الشريف، خاصة بعد إقدام فرنسا على تجنيد عدد من شباب وادي سوف بالقوة للعمل في مصانعها، التي احتاجت إلى اليد العاملة، وقد كان قانون التجنيد الإجباري على الأهالي الجزائريين الصادر في جويلية 1917م، لا يشمل سكان المناطق العسكرية في الجنوب³. كما عرفت المنطقة تشديد الرقابة الفرنسية على الحدود الجزائرية الليبية، ما أدّى إلى شلّ حركة التجارة مع منطقة غدامس الليبية، فأثّر ذلك على مستوى معيشة السكان. فضلا عن دفع الضرائب الباهظة التي أثقلت كاهلهم، خاصّة وأنّ المنطقة حينها عرفت موجة جفاف زادت من حدّة الأزمة الاقتصادية⁴.

وعرفت المنطقة قبيل الحرب العالمية الثانية، فترة نشاط سياسي ثوري، تزعمه الشيخ عبد العزيز الشريف⁵، الذي اتخذ من جمعية العلماء غطاءً سياسياً. لكنّه اعتمد المنهج

1- علي غنابزية، فصول ودراسات في تاريخ الحركة الوطنية والثورة التحريرية بوادي سوف (1854-1962)، مطبعة سامي، الوادي-الجزائر، ط1، 2022، ص13، 24، 66.

2- إبراهيم محمد الساسي العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، مطبعة ثالثة، الجزائر، 2007، ص323.

3- علي غنابزية، فصول ودراسات في تاريخ الحركة الوطنية والثورة التحريرية بوادي سوف (1854-1962)، المرجع السابق، ص36.

4- المرجع نفسه، ص37.

5- إبراهيم محمد الساسي العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، مصدر سابق، ص30.

الثوري والمعارضة الراديكالية المتعنة، مخالفا بذلك الخط الذي تنتهجه الجمعية حينها، كما ربط علاقات مع الحركة الوطنية التونسية. وقد احتجّ على الممارسات الفرنسية للمساس بالأحوال الشخصية للجزائريين، فأرسل برقية احتجاج شديدة اللهجة، إلى السلطات العليا الفرنسية في 26 فيفري 1938م. وشنّ بعدها حملة واسعة ضد القياد وأعوان الاستعمار، وكثّف تحركاته في قرى سوف مندداً بالسياسة الاستعمارية وأعوانها. ورفض غلق المدرسة الإصلاحية التي أزعجت فرنسا، وطالبته بإغلاقها بحجة أنها تعمل بدون ترخيص، فردّ الشيخ عبد العزيز الشريف: "بأن الزوايا من قديم الزمان تعمل بدون رخصة...". كل ذلك جعل السلطات الفرنسية تتحجّن الفرصة لمعاقبته. كما نظّم احتجاجاً شكّل واحدة من أبرز الانتفاضات الشعبية في المنطقة، وذلك يوم 12 أبريل 1938م، تجمهر فيها الآلاف أمام مقر الحاكم العسكري بالوادي، أثناء زيارة المدير العام للشؤون الأهلية ومناطق الجنوب الجزائري (ميليوت) ونائب مدير مناطق الجنوب الكولونيل (بيلوند). أدت إلى عقد لقاء على انفراد بين الشيخ عبد العزيز الشريف والمدير العام (ميليوت)، قدّم له فيها عريضة مطالب، لرفع الظلم الاستعماري عن الأهالي، وعدم تدخل الإدارة الفرنسية في الشؤون الدينية للمسلمين، واحترام تعاليم الدين الإسلامي، والمحافظة على مقدساته. وإعادة فتح المساجد التي أغلقت، وتسهيل مهام علماء الإسلام، كما تسهل فرنسا مهام البعثات التبشيرية في مناطق ورقلة وبلاد القبائل. مع التأكيد على احترام الحرية الدينية والعقائدية للسكان، وطالب بإعادة الاعتبار للمدارس الحرة، لتقوم بدورها التعليمي في نشر اللغة العربية. ودعا للعمل على التخفيف من حدة الأزمة الاقتصادية، في وادي سوف ومناطق الجنوب.⁶

وقد شهدت منطقة الجنوب الشرقي كغيرها من مناطق الوطن سعياً حثيثاً من المستعمر الفرنسي لطمس الهوية الإسلامية، بمختلف الطرق والوسائل، والسعي لاستبدالها بهوية فرنسية. ولذلك تم اعتماد التعليم باللغة الفرنسية، وبناء المدارس الفرنسية في كل ربوع الجزائر، وتكثيف عمل المنصّرين لنشر الديانة المسيحية، وصرف الجزائريين عن دينهم، وقد صاحبها حملات الصليب الأحمر لتقديم المساعدات الاجتماعية والطبية في القرى والمداشر. وصاحب كل ذلك تضيق على المدارس القرآنية والكتاتيب والدروس المسجدية. ومحاصرة لنشاطات الشيوخ والعلماء والحركة الوطنية عموماً. وهو ما أدّى إلى استمرار الاحتجاجات في وادي سوف خلال شهر أبريل من سنة 1939م، التي اعتبرها المستعمر إعلاناً للحرب، ومبرّراً لإنهاء نشاط العلماء، فاعتقلت الشيخ عبد العزيز الشريف، مع مجموعة من العلماء والأتباع وبعض أعيان وادي سوف، وعُوقب بعضهم بالسجن والنفي

6- علي غنابزية، فصول ودراسات في تاريخ الحركة الوطنية والثورة التحريرية بوادي سوف (1962/1854)، المرجع السابق، ص 3938.

ومع ذلك الوضع الأمني، ورغم الظروف الاجتماعية والاقتصادية الصعبة، حافظ أبناء الجزائر ومنهم أهل الجنوب الشرقي على هويتهم. فالوضع العام في ظل الاستعمار حينها، كان يُراد منه أن ينحصر اهتمام الجزائريين، في مجرد الحفاظ على حياتهم وتوفير الأساسيات الضرورية للمعيشة، ويكون شغلهم الشاغل هو مجرد توفير لقمة العيش. ليصبح مجرد الحصول على الحد الأدنى من ضروريات الحياة إنجازا كبيرا بالنسبة للجزائريين. كل ذلك في ظل فقري يغلب على حياة الناس، وظهور للأوبئة من حين لآخر تتسبب في موت الكثيرين، خاصة الأطفال منهم.

وقد نجح المستعمر الفرنسي أحيانا، في أن يجعل من تلك الظروف المعيشية الصعبة، سببا في صراعات بين العروش والقبائل في كل منطقة من ربوع الوطن، في سبيل السعي للحفاظ على أمنها الغذائي. وزادتها سياسة (فرق تسد) الاستعمارية تأججا من حين لآخر. فقد تم اعتماد تلك السياسة بين الجزائريين، من خلال خلق صراعات بين الطرق الصوفية، ودس السموم داخل الزوايا وإذكاء النعرات العنصرية والعرقية بين قبائل وعروش كل منطقة. ونجح المستعمر الفرنسي في إفساد حياة شباب الجزائر حينها، فانغمس كثير منهم في اللهو والخمر والميسر وما إلى ذلك من المحرمات.⁸

وقد شارك الجزائريون مع جنود الحلفاء (فرنسا، إنجلترا وروسيا وأمريكا) في الحرب العالمية الثانية (1939. 1945م)، فقد وعد الحلفاء الشعوب المستعمرة بالاستقلال بعد الانتصار على معسكر المحور (ألمانيا النازية وإيطاليا الفاشية). ولما انتصر الحلفاء على دول المحور، وطلع فجر 8ماي 1945 خرج العالم ليحتفل بانتهاء الحرب وزوال النازية. فشارك الشعب الجزائري كغيره في احتفال ذلك اليوم معبرا بدوره عن رغبته في الحرية. لكن السلطات الاستعمارية بالجزائر قابلت ذلك بالحديد والنار، فانقلبت الاحتفالات إلى ثورة قتل فيها الجزائريون، خاصة في نواحي قلمة وسطيف.⁹

أما في وادي سوف فقد بدأ النضال السياسي في سنة 1943م، بتشكيل أول خلية سرية لحزب الشعب الجزائري، فأصبح محل أحمد ميلودي للخياطة، في سوق مدينة الوادي، مقر الخلية الأولى، يقصده المناضلون من داخل المنطقة وخارجها. وبدأت الخلية تبتّ الوعي النضالي وتنهّ السكان للعمل من أجل الحرية والاستقلال، وتعمل على تأسيس الخلايا وتكوين المناضلين سياسيا. إلا أنّ هذا النشاط أُصيب بالركود بعد أحداث 8 ماي 1945م،

7- نفسه، ص 40.

8- إبراهيم محمد الساسي العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، مصدر سابق، ص 10.

9- المصدر نفسه، ص 324.

حيث تمّ اعتقال بعض الأفراد من المناضلين. وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، وصدور العفو العام سنة 1946 أُفرج عن الزعماء، وجاء قانون سنة 1947م فأزال الحكم العسكري بأراضي الجنوب، لتعرف منطقة وادي سوف نشاطا سياسيا، تمثل في تأسيس فرع لحركة الانتصار والحريات الديمقراطية، بقيادة أحمد ميلودي، الذي تعرض نشاطه السياسي للمضايقات الاستعمارية. فعجّل ذلك في تجسيد قناعة المناضلين بضرورة العمل العسكري، وعملا منهم بما جاء في كتاب الله عزوجل، قال تعالى: ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ سورة الحج: 39. وتمثلت النواة الأولى في تأسيس فرع المنظمة الخاصة السرية بوادي سوف، عُيّن على رأسه عبد القادر العمودي، وبدأ التكوين العسكري للمناضلين، وعمليات جمع الأسلحة وجلبها من المناطق الحدودية مع تونس وليبيا، ثم الإشراف على نقلها للولايات الأخرى.¹⁰

واستمر دورها في الإعداد وجمع السلاح وتوزيعه، إلى غاية اندلاع الثورة التحريرية، وقد قرّرت قيادة الثورة بقاء وادي سوف منطقة عبور فقط، بعيدة عن أنظار المستعمر الفرنسي ومراقبته، لتحقيق النجاح في ذلك الدور المنوط بها. ورغم ذلك وقعت بعض المعارك، منها معركة حاسي خليفة (17 نوفمبر 1954) ومعركة صحن الرتم بين الجديدة والمقرن (15 مارس 1954) ومعركة غوط شيكة الجديدة (108 أوت 1955)، ومعركة الدبيدي بالرياح (15 جانفي 1956) ثم معركة غوط سلطان بتغزوت (16 جانفي 1956). استمر بعدها النشاط الثوري في المنطقة، قابلته القوات الاستعمارية بالقمع، والانتقام من المدنيين والتضييق عليهم.¹¹

في ظل هذه الظروف الصعبة وهذا الواقع المعيشي المُزري، الذي يصعب فيه على أغلب أبناء الجزائر الالتحاق بالزوايا والكتاتيب والمدارس الحرة، المعروفة هنا وهناك في ربوع الجزائر. كان للأئمة ومعلمو القرآن الكريم في كل مساجد الجزائر دور فعال في توفير فرصة التعليم القرآني للجزائريين كان له أثر كبير في الحفاظ على الهوية الجزائرية الإسلامية بتعليم القرآن الكريم والحفاظ على اللغة العربية. فقياسا على تلك الظروف القاسية وذلك الواقع الصعب والبائس، فإن تلك الجهود تُعتبر عملا جليلا لا يُستهان به. ورغم أن أغلب أولئك الأئمة ومعلمي القرآن لم يتركوا آثارا مكتوبة تخلّد أسمائهم وتُبرز دورهم، إلا أنه لا زالت ذكراهم حاضرة على لسان أبنائهم وأهلهم وتلاميذهم، يشهدون لهم ويرددون مواقفهم في مختلف المناسبات. حتى لا يغيب ذكرهم مع الجيل الذي عايشهم وتعلّم منهم وحفظ القرآن على أيديهم، ولتحفظ مآثرهم ذاكرة الأجيال، فإنه من المهم اليوم تدوين تلك الشهادات،

10- علي غنابزية، فصول ودراسات في تاريخ الحركة الوطنية والثورة التحريرية بوادي سوف، المرجع

السابق، ص 73، 77.

11- نفسه، ص 8880.

وتسجيل جهود أولئك الأئمة ومعلمي القرآن من باب الوفاء لهم والاعتراف بجهودهم، وتثميناً لأعمالهم ودورهم في الحفاظ على الهوية الجزائرية الإسلامية، ولا شك أن كل ذلك يندرج ضمن مفهوم المقاومة الثقافية.

وقد عُرف بعضهم بدوره في دعم الحركة الوطنية والثورات الشعبية ثم الثورة التحريرية المباركة، وجمع المساعدات والأموال لها، وفتح بيوتهم ومساجدهم للمجاهدين. كل ذلك في ظل مساعي المستعمر الفرنسي لطمس الهوية الجزائرية ومحاربة الدين الإسلامي والقضاء على اللغة العربية. بنشر سياسة التجهيل والتضييق على تعليم اللغة العربية والعلوم الإسلامية وتحفيظ القرآن الكريم، ومحاولة استبدال كل ذلك بتعليم فرنسي في مدارس تُشرف عليها الإدارة الفرنسية. وقد قاوم الجزائريون كل ذلك في مختلف ربوع الوطن، كان في طليعتهم الأئمة ومعلمو القرآن الكريم، وهو ما فعله إخوانهم في بلدة ورماس.

3. تعريف ببلدة ورماس:

ورماس هي واحدة من التجمعات السكانية، التي انبثقت خلال القرن التاسع عشر، عن بلدة كوينين في منطقة وادي سوف من الجنوب الشرقي للجزائر. كان ذلك في رحلة البحث عن الماء وتوسيع غيطان النخيل، الذي شكل حينها مصدر الرزق الأساسي وسبب استقرار السكان في هذه المنطقة. وقد عُرفت ورماس بقرب مياهها الجوفية، وسهولة حفر الغيطان فيها، ما سهّل عملية غرس النخيل وتوسيع الغيطان. إضافة إلى أنها منطقة عبور، فيها معالم تهدي بها القوافل العابرة جنوباً نحو منطقة تقرت. ويُرجح أن سبب تسمية هذه المنطقة بورماس، يعود إلى اسم رجل مشهور اسمه (ورماس) من سكان زناته، الذين عاشوا في وادي سوف، فلما عبر هذا الرجل مع بعض قومه إلى تقرت، حطّوا رحالهم في هذه المنطقة. حينها مرض ورماس فأقام فيها مدة ثم توفي ودفن فيها، فأصبح الناس يسمون هذه المنطقة ورماس¹².

تقع بلدة ورماس في الجهة الشمالية الغربية لمنطقة وادي سوف. وقد أصبحت بلدية بعد التقسيم الإداري لسنة 1984م، وهي تبعد عن مقر ولاية الوادي بـ 11كم، وتقع على بعد 14كم من مقر دائرة قمار. بلغ عدد سكانها 8 آلاف نسمة سنة 2016م. وهي تتربع على منطقة واسعة تمتد من كوينين شرقاً إلى حدود جامعة والطيبات غرباً، ومن تغزوت شمالاً إلى حدود واد العنلده وأمييه ونسة جنوباً.

4. أبرز معلمي القرآن في بلدة ورماس خلال الفترة الاستعمارية (1900 - 1962م):

بلدة ورماس كغيرها من مناطق وادي سوف اهتم أهلها بحفظ القرآن الكريم وتحفيظه،

12- إبراهيم محمد الساسي العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، مصدر سابق، ص 116115.

عملا بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم، (خيركم من تعلم القرآن وعلمه)¹³، وطلبنا منهم لما فيه من فضل وخير عظيم، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ سورة الإسراء: 09.

وقد عرف أهل المنطقة بذلك الحرص على القرآن الكريم، حتى أن الكاتبة الفرنسية سيللي ميللي سجلت هذه الملاحظة بقولها: "ليس من الغريب أن نجد واحدا مقابل عشرة ممن يحفظ القرآن كله بوادي سوف بينما في باقي إفريقيا الشمالية فإن هذه المعرفة محصورة في الطلبة وبعض الخواص بنسبة واحد من الألف..."¹⁴. وقد كان تحفيظ القرآن الكريم من مهام إمام المسجد، ويتم أحيانا تخصيص معلم قرآن لأداء مهمة تحفيظ القرآن، فقد عُرفت جل المساجد الجزائرية بفتحها لحلقة تحفيظ القرآن الكريم، وقد يتم ذلك في مكان آخر خارج المسجد أحيانا نظرا لبعض الظروف. فبرز خلال فترة الاستعمار الفرنسي مجموعة من الأئمة ومعلمي القرآن، بقي إلى اليوم يذكورهم من تتلمذ على أيديهم، لدورهم البارز في تحفيظ القرآن، والحفاظ على الهوية الإسلامية للمجتمع، نذكر منهم:

- الشيخ محمد الصالح هادفي:

عُرِف الشيخ محمد الصالح هادفي في ورماس باسم الطالب (ابيهي)، ولد سنة 1876م وتوفي سنة 1945م. حفظ القرآن الكريم في بلدة كوينين، وعُرِف بحفظه الجيد للقرآن الكريم وتمكنه من علم الفرائض، فكان يقسم الميراث في بلدة ورماس. ونظرا لمعرفته وحكمته كان القاضي مسعود المكلف بالقضاء في منطقة الوادي يُراجع في القضايا المتعلقة ببلدة ورماس¹⁵.

كان للطالب (ابيهي) الدور الرئيسي في تأسيس مسجد حي بريري (مسجد النعمان بن بشير حاليا) سنة 1918م، وهو من أبرز من قام بالإشراف على بناءه وعمارتة. فقد كان وإلى أواخر حياته إماما لهذا المسجد والقائم على شؤونه. اهتم بالبحث في العلوم الشرعية، فحظي بمجموعة من الكتب الشرعية، جلمها له ابنه (المكي) من مدرسة عبد الحميد بن باديس بقسنطينة. ما جعله مقصد المستفتين من أبناء ورماس ومن خارجها¹⁶. ومن أبرز من

13- رواه الإمام البخاري في صحيحه، تج: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 2002م، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، ج6، ص191، رقم الحديث: 5027

14- J. Scelles millie: Contes sahariens du souf, Maisonneuve et la Rose, Paris, p24.

ينظر أيضا: يوسف زغوان، التعليم الحروبوادي سوف (1931-1962م) من خلال الوثائق المحلية والروايات الشفوية، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الوادي، 2015/2014.

15- لقاء مع الحاج علي المكي مرابط، في بيته، يوم: 2022/06/03.

16- لقاء مع الحاج علي المكي مرابط، في بيته، يوم: 2022/6/3.

تتلמד على يدي الشيخ وختم حفظ القرآن الكريم في حلقاته نذكر: الطالب عماره مرابط، وابنه علي هادفي، وحفيده إبراهيم هادفي، والطالب الساسي معامير (الطالب عمر)، الطالب علي بوساحة والحاج علي مرابط. وقد كان لهؤلاء دورهم المهم بعده في تحفيظ القرآن وإمامة الناس في مساجد ورماس¹⁷.

- الشيخ لخضر زيدان:

ولد الشيخ لخضر زيدان سنة 1901م، وهو إمام مسجد عبد الله بن صالح، المعروف اليوم بمسجد (عبد الله بن حدافة) بورماس، في الفترة الممتدة بين 1925 إلى غاية 1933م. حفظ القرآن الكريم على يد الشيخ (عبد الله بوزنة)، هذا الأخير هو أحد الحفظة ومعلمي القرآن الوافدين من حي أولاد حمد بالوادي إلى بلدة ورماس، وكان له دور كبير في تحفيظ القرآن في بلدة ورماس. وقد كان من تلاميذ الشيخ بوزنة إضافة إلى الطالب لخضر زيدان، جلالي أحمد، جلالي بلقاسم، مأمون محمد العيد، مأمون سعد ومأمون السايح¹⁸. وقد توفي الطالب لخضر زيدان سنة 1949م، وكان من أبرز تلاميذه¹⁹:

- رجال عبد القادر (وهو من مواليد 1920) الذي أصبح إماما ومعلما للقرآن في مسجد الدويرة، وبعدها إماما في مسجد السبطي بكوينين. وتجدر الإشارة إلى أنه تعاقب على الإمامة وتحفيظ القرآن في مسجد الدويرة القديم قبل الطالب عبد القادر رجال، كل من الطالب مبارك بلعيد، ثم الطالب خليف محمد (ولد سنة 1877م)، ثم الطالب العرشي عبد الحفيظ (ولد سنة 1894م)²⁰.

- مناصير إبراهيم ومناصير بلقاسم، هذا الأخير أصبح إماما في المسجد المعروف حاليا باسم: (عقبة بن نافع) بورماس.

- المجاهد محمد واده (وهو أحد المسبلين لجمع الأموال والمساعدات للثورة التحريرية)²¹.

- الشيخ البشير بن معيوة:

الشيخ البشير بن معيوة هو أحد أبرز الأئمة ومعلمي القرآن الوافدين إلى بلدة ورماس، فقد كان له فيها دور مهم في تعليم القرآن، وذلك في الفترة الممتدة بين 1946 إلى 1959م،

17- لقاء مع الحاج عبد الله معامير، في مسجد النعمان بين بشير، يوم 2022/05/25.

18- لقاء مع الأستاذ إبراهيم زياد، في بيته، يوم 2022/06/06.

19- لقاء مع الأستاذ الحبيب سالم، في بيته، يوم 2022/06/2.

20- لقاء مع الأستاذ العروسي مكاوي، في بيته، يوم 2022/08/23.

21- لقاء مع الأستاذ الحبيب سالم، في بيته، يوم 2022/06/2.

كان حينها قائما على الإمامة بمسجد عبد الله بن صالح (المعروف اليوم بمسجد عبد الله بن حذافة). انتقل بعدها إلى قرية لقويرات بورماس إماما لمسجدها ومعلما للقرآن فيه. من أبرز من ختم القرآن عنده: ابنه التجاني بن البشير بن معوة (الذي خلف والده في إمامة مسجد عبد الله بن صالح)، ومقدود علي سلطان، معمر سالم، محمد البشير سالم وعبايدي معمر. وقد كان لبعضهم دوره البارز في إمامة الناس وتحفيظ القرآن. كما تتلمذ على يد الشيخ البشير بن معوة الشهيد عبايدي محمد الحبيب، والمجاهد سالم العربي بن محمد الصغير، والمجاهد بلموشي أحمد، عليهم رحمة الله²².

- الشيخ عماره مرابط:

ولد الشيخ عماره مرابط سنة 1887م، عُرف باسم (الطالب عمارة)، حفظ القرآن الكريم عند الشيخ محمد الصالح هادي (الطالب ابيني). فحظي لضبطه وقوة حفظه بمكانة خاصة عند شيخه، حتى أنه زوجه ابنته، وأورثه كُتبه قبل وفاته، وقد كانت الكتب حينها نادرة، قليل من يحظى بفرصة امتلاكها. توفي الطالب عماره عليه رحمة الله سنة 1977م.

كان للطالب عماره حلقة تحفيظ للقرآن الكريم في عهد شيخه، في أحد البيوت التي وهبها له صاحبها لذلك الغرض، بعد رحيله عن منطقة ورماس. ثم أصبح الطالب عماره إماما لمسجد حيّه، وهو المسجد المعروف اليوم باسم: (مسجد النعمان بن بشير) في حي أول نوفمبر (حي بربري) بورماس. وقد كان قائما على شؤونه، إمامة وتديسا وخطابة وتعلّما للقرآن²³. من أبرز من تتلمذ على يديه: ابنه أحمد وعبد الرزاق، ومسعود بن محمد مرابط، بلقاسم ريان بن عبد القادر، وإبراهيم مرابط بن الهاشمي، أحمد بن إبراهيم مرابط، ومسعود شتيوي، محمود شتيوي، محمد بوساحة بن علي. ومن تلاميذه كذلك²⁴:

- الطالب علي حجاجة، الذي قام بالإمامة في مسجد النعمان بن بشير بورماس متطوعا لمدة زمنة معتبرة.

- الطالب الطيب الزاوي، الذي علّم القرآن في المدرسة القرآنية لمسجد النعمان بن بشير بورماس. وقد ختم القرآن على يديه بعض من تلاميذه.

- الشيخ البشير الشابي التغزوتي، الذي ختم عنده القرآن الكريم، ثم درس في الزيتونة، ثم في جامعة العراق وفي مصر، وشغل بعد استقلال الجزائر منصب مفتش للتعليم الثانوي

22- لقاء مع الأستاذ الحبيب سالم، في بيته، يوم 2/6/2022.

23- لقاء مع الحاج علي المكي مرابط، في بيته، يوم 3/6/2022.

24- لقاء مع الحاج عبد الله معامير، يوم 25/05/2022.

- أحمد بن لكحل رحمانى وأخوه محمد العيد رحمانى: فقد أتم أحمد رحمانى ختم القرآن الكريم عند الطالب عماره، ثم انتقل للدراسة في تونس والعراق ثم في مصر، التي تخرّج منها ضابط شرطة، وعمل مع جيش التحرير الوطني قبل الاستقلال في جلب السلاح من تونس إلى الجزائر. وبعد الاستقلال أصبح إطارا في الجيش الشعبي الوطني. ثم تحوّل إلى التعليم بمدرسة أشبال الأمة بالقليعة سنة 1969م، وبعد تقاعده تفرغ للدروس المسجدية والتأليف.²⁶

وجدير بالذكر أن البشير الشابي وأحمد بن لكحل رحمانى، كان كل واحد منهما يعقد أحيانا حلقة علم في ورماس، لشرح شيء من (متن ابن عاشر والأجرومية وتفسير الجلالين)، كان ذلك في أوقات عودتهما من الدراسة خارج الجزائر خلال فترة الاستعمار²⁷. فتركا عليهما رحمة الله أثرا طيبا ورغبة في التزوّد العلمي، وحفظ القرآن الكريم وعلوم الشريعة الإسلامية لدى سكان المنطقة.

- الشيخ علي بوساحة:

ولد الشيخ علي بوساحة المعروف بالطالب علي بوساحة سنة 1910م، في بلدة ورماس، التي نشأ وترعرع وعاش أغلب حياته فيها، إلى أن وافته المنية سنة 1996م.

بدأ الطالب علي بوساحة حفظ القرآن الكريم عند الطالب محمد الصالح هادفي (الطالب ابيري) في مسجد بربري، وختم القرآن الكريم كاملا عند الشيخ عبد الله بوزنة، فعُرِف بقوة حفظه للقرآن الكريم²⁸. تفرغ في أربعينيات وبداية الخمسينيات من القرن العشرين لتحفيظ أبناء جامع فيصل (جامع الفتح حاليا) في حيّهم بورماس، وممن تتلمذ على يديه قبل الاستقلال: بلي مسعود بن عمار، بلي السعيد الطاهر، محمود بوحامد وسعد بوحامد ومحمد العيد دواشي، وابنيه محمد وأحمد بوساحة²⁹. اهتم عليه رحمة الله بتعليم البنات القرآن الكريم، وبدأ ذلك مع بناته وبعضها من بنات الحي. وقد واصل تعليم القرآن الكريم بعد عودته من فرنسا سنة 1956م، التي ذهب إليها عاملا لمدة خمس سنوات، وزاد نشاطه في التعليم القرآني بعد الاستقلال³⁰.

25- لقاء مع الطالب علي حجاجة، في بيته، يوم 2022/06/02.

26- لقاء مع الطالب علي حجاجة، يوم 2022/06/02.

27- لقاء مع الطالب علي حجاجة، يوم 2022/6/2. واکد ذلك الحاج علي المكي في مقابلة معه يوم 2022/6/3.

28- لقاء مع الحاج عبد الله معامير، يوم 2022/05/25.

29- لقاء مع الحاج مسعود بلي بن عمار وأحمد بوساحة، في بيته، يوم 2022/08/19.

30- لقاء مع ابنه بوساحة جمال، في مسجد النعمان بن بشير، يوم 2022/08/15.

- الشيخ معمر سالم:

ولد الشيخ معمر سالم سنة 1933 وتوفي سنة 2004م بورماس، حفظ القرآن في سن 17، على يد الطالب البشير بن معيوة. ونظرا لاحتفاء أهل ورماس بالقرآن الكريم وأهله، أقام جدّه وليمة كبيرة لأهل الحي بمناسبة ختمه هو وابن عمه سالم محمد البشير، وأهدى كل واحد منهما خمسة نخلات، وهي بمقياس ذلك الزمان هدية عظيمة ورزق كبير.

صلى الطالب معمر التراويح بالناس في مساجد ورماس والطريفواوي، وأصبح سنة 1960م إماما لمسجد عبد الله بن صالح بورماس (عبد الله بن حذافة حاليا)، فكان يقوم على كل شؤون المسجد وبدأ حينها بتحفيظ القرآن الكريم. ومن بين تلاميذه: دريدي محمود، سالم عبد الحميد بن أحمد، حجاجة محمد العربي، قريوي محمد بن إسماعيل، رجال محمد بن عبد القادر، سالم الحبيب بن أحمد، سالم الحبيب بن المشري ومحمد عكيشي بن علي وغيرهم بعد الاستقلال. دامت إمامته لمسجده 44 سنة، إلى آخر حياته، منها 21 سنة متطوعا، وقد خطب بالناس وصلى بهم إلى آخر جمعة في حياته. اهتم بتعليم البنات القرآن الكريم عليه رحمة الله، وشجعهنّ على المواصلة، لإدراكه أهمية ذلك في بناء الفرد والأسرة والمجتمع.³¹

5. طريقة التحفيظ:

قد تختلف طريقة التحفيظ من شيخ إلى شيخ آخر، لكن في الغالب كانت بداية التحفيظ تكون بعد صلاة الفجرة. أما الفترة الثانية من التحفيظ، فعادة تكون مساءً، إما بعد صلاة العصر أو بعد صلاة المغرب. ويُستعمل في التحفيظ لوح من الخشب والدواية وتم الكتابة بقلم من قصب.

تبدأ المرحلة الأولى بتعلم المبتدئين الحروف العربية، لغة القرآن الكريم، وضبط مخارجها وأصواتها رفعا ونصبا وكسرا، وما إلى ذلك. في هذه البداية يتكفل الشيخ أو أحد مساعديه من تلاميذه النجباء والمتقدمين في الحفظ، بكتابة الحروف وتلقينها للمبتدئين. وعادة ما يكون التلقين في هذه المرحلة والتكرار من أجل الحفظ والضبط جماعيا. فمن أتقنها ينتقل إلى مرحلة ثانية، يتم فيها كتابة ما تيسر من قصار السور، على لوح التلميذ، ثم تبدأ المرحلة الثالثة بعد تمكّن التلميذ من عملية الكتابة الصحيحة وحده. فيكتب على لوحه مجموعة الآيات المقررة عليه حفظها من القرآن الكريم.

وعادة ما يقوم التلاميذ بكتابة الجزء المقرّر عليهم من القرآن الكريم على الألواح في الفترة الصباحية، في جلسة جماعية، يُملي فيها الشيخ على كل واحد منهم الجزء المعني به، آية آية إلى أن ينتهي من الجزء المقرر عليه. فتتم بذلك الكتابة على اللوح وفي نفس الوقت

31- لقاء مع الأستاذ الحبيب سالم، في بيته، يوم 02/06/2022.

تلقي التلميذ ما سيحفظه، لضمان أن الحفظ سيكون على الوجه الصحيح، دون لحن أو تحريف في النطق. وبعدها يقوم كل واحد من التلاميذ بتكرار ما كتبه، إلى أن يصل إلى درجة حفظه عن ظهر قلب. فيقوم بعرض ما حفظه على الشيخ، ليُجيزه على حفظه أو يطلب منه زيادة التكرار لتحقيق الإتقان في الحفظ، وربما صحَّح له ما لم يتم ضبطه كتابةً أو نطقاً.

وفي الفترة المسائية يُعيد التلميذ تكرار ما كتبه بالأمس على لوحه، وبعد تأكيد حفظ الجزء المكتوب، يعرض التلميذ ذلك الجزء على شيخه، ليُجيزه في حفظه وربما طلب منه التكرار أكثر. فإذا تمت عملية الحفظ الجيد، يقوم التلميذ بمسح اللوح في مكان مخصص لذلك، باستعمال الماء والطين لوجه اللوح المحفوظ مساءً. وهكذا تستمر هذه العملية كل يوم ما عدا يوم الخميس والجمعة فقد كانا يومي راحة. ويتم من حين لآخر تكرار السور والأجزاء التي سبق حفظها مجتمعة، ثم حفظها على الشيخ. وهكذا إلى غاية ختم القرآن الكريم كاملاً، لمن وفقه الله في ذلك واجتهد وجدَّ واستمر في الحفظ. لتبدأ بعدها الختمة الثانية، للضبط وترسيخ الحفظ.

6. القيم التي زرعها الشيوخ بين تلاميذهم وبين أفراد المجتمع:

غرس الأئمة ومعلمو القرآن قيماً رفيعة في المجتمع الورماني، على رأسها قيمة طلب العلم والحرص على حفظ القرآن الكريم، فلا تجد بيتاً في ورماس إلا ويحرص أهله على تحفيظ أبناءهم القرآن الكريم، فيرسلونهم منذ صغرهم إلى حلقات التحفيظ. حتى أنه في بعض الفترات التي تتعثر فيها حلق التحفيظ في بعض المساجد، ترسل الأسر أبناءها إلى حلقات تحفيظ القرآن الكريم ولو كانت بعيدة على بيوتهم.

كما رَسَخ الشيوخ مبدأ الموازنة بين الدين والدنيا والتوفيق بين مطالب الروح ومطالب الجسد، فقد عمل جلهم إضافة إلى مهمة الإمامة وتحفيظ القرآن. فيما اشتغل فيه أتربهم، خاصة في غيطان النخيل. فكانوا قدوة لسكان المنطقة في حسن أخلاقهم وورعهم في تعاملاتهم اليومية. كما ظهر جلياً دور العملية التعليمية لتحفيظ القرآن الكريم، في غرس قيم تنظيم الوقت والحرص عليه، والحرص على النظافة والحفاظ على وسائل التعليم وكل الممتلكات الخاصة منها والعامّة، على قلّتها في تلك الفترة الاستعمارية. كما ساهمت طريقة الكتابة والتحفيظ السابقة الذكر، في تعلم وإتقان التلاميذ للكتابة ورسم الخط العربي. ومن ثم الإغلاء من شأن الحرف العربي واللغة العربية. وتُعتبر تلك الطريقة أفضل الطرق لضبط الرسم القرآني وترسيخ الحفظ في الأذهان.

ومن القيم الحاضرة بين أفراد المجتمع القيمة العالية والمكانة الكبيرة للشيخ ومعلم القرآن وللأئمة وطلبة القرآن، وهو ما جعل منهم أعياناً في المجتمع، لهم هيبتهم وكلمتهم مسموعة بين أفراد المجتمع. وقد سعى أغلب الأئمة للحفاظ على الهوية الإسلامية وحفظ القرآن الكريم،

بحرصهم على تشييد المساجد وعمارتها، وإنشاء حلق تحفيظ القرآن الكريم فيها، والسعي الدائم لضمان استقرار الإمام في المسجد بتوفير كل ما يشجع الإمام ومعلم القرآن، سبل العيش الكريم من تأمين البيت له وتسهيل سبل العيش له وكذا توفير الوسائل التعليمية وحسن اختيار المكان المناسب للتدريس. فرغم صعوبة الوضع الاجتماعي والاقتصادي في الفترة الاستعمارية، إلا أن المجتمع الورماسي كانت يتكاتف لتوفير ما يحتاجه الإمام ومعلم القرآن، تقديمًا منهم للمصلحة العامة ولو كان ذلك على حساب مصالحهم الخاصة. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْزَّمُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ سورة التوبة: 18.

ولإدراكهم أن هذا العمل من أشرف الأعمال وبه صلاح مجتمعاتهم كان كل فرد يسعى لنيل شرف المساهم فيه ويرغب في تحصيل الأجر والثواب منه، على اعتبار أن كل ذلك يندرج ضمن باب الصدقات الجارية، التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم، في قوله: (إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة، صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له)³². ومن مظاهر ذلك الاهتمام أن حلق تحفيظ القرآن كان يتم خصها بوجبات متنوعة، في المناسبات الاجتماعية المختلفة. وكتعبير على فرح العائلات بختم أبناءها عند كل حزب، يرسلون وجبة خاصة لإطعام الشيخ وتلاميذه والمصلين في المسجد.

ونظرا للدور الريادي للمسجد في حياة أهل ورماس، سهروا على بناء مسجد في كل حي أو تجمع سكاني جديد. بالرغم من أن الكثافة السكانية لبلدة ورماس ليست بالكبيرة إلا أن أهلها كغيرهم في ربوع الجزائر، يرون أن المسجد من المرافق الضرورية في حياتهم. فهو مكان لأداء الصلوات الخمس والجمعة والأعياد الدينية والتراويح والتهدج في رمضان، وتقديم دروس الإرشاد والتوجيه وإجابة المستفتين والسائلين وإقامة عقود الزواج وإيواء عابري السبيل وغيرها. فهناك دائما من المصلين من يقوم على شؤون المسجد، قال تعالى: ﴿فِي بُيُوتِ الَّذِينَ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُزْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (36) رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (37) لِيَجْزِيََهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ سورة النور: 36-38.

ونظرا للوضع الاستعماري التي كانت تعيشه المنطقة آنذاك كان للأئمة ومعلمي القرآن في ورماس أثر كبير في الشد على يد تلاميذهم وأهل المنطقة للتصدي للاستعمار الغاشم، وتعزيز قيمة حب الوطن والدفاع عنه والجهاد في سبيل الله، ما دفع البعض للانخراط في

32- رواه الإمام مسلم في صحيحه، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، ج3، ص 1255، رقم الحديث: 1631.

صفوف جيش التحرير الوطني، منهم المجاهد بلموشي أحمد والمجاهد جابر شويه والمجاهد العربي سالم، ومنهم من استشهد أثناء حرب التحرير كالشهيد بلي الصادق والشهيد عبايدي الحبيب.

كما شارك غيرهم كمسبيلين لمساعدة جيش التحرير وجمع الأموال من أهل ورماس للثورة، وضمان مرور أمن للمجاهدين منهم العزوزي الجلاي ومحمد واده، جديع أحمد، شوية محمد، احمودة الطاهر، دحمان أحمد، بطينة إبراهيم، بطينة بلقاسم وبوساحة محمد الصغير³³. قال تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ سورة الأحزاب: 23.

7. خاتمة

تعددت أوجه وسبل المقاومة الثقافية أثناء الحقبة الاستعمارية، في القطر الجزائري، وبالخصوص في منطقة الجنوب الشرقي. فقد ساهم فيها العلماء والأعلام وطلبة العلم بما نشره من مؤلفات وما كتبه في الصحف والمجلات، وما نشره من دروس ومواعظ بين الناس، رغم قلة الإمكانيات المادية والمعنوية. كما شارك في تلك المقاومة الثقافية الأئمة ومعلمو القرآن الكريم، من خلال أداءهم للدور المنوط بهم في كل مسجد من مساجد الجزائر، رغم المضايقات من طرف المستعمر الفرنسي.

والمتتبع لأحوال مجتمعاتنا الإسلامية، يجد أنه كلما ازدادت المحنة ومحاربة الدين، ومحاولات طمس مقومات الهوية الإسلامية، كلما ازداد حرص المسلمين عموما ومنهم أبناء الجزائر، على دينهم والحفاظ على قرآنهم ولغتهم ومقومات هويتهم الإسلامية. ومن مظاهر ذلك التمسك الدائم بالقرآن الكريم حفظا وتحفيظا وتفسيرا وعملا بما جاء فيه. إضافة إلى الحرص على بناء المساجد كمرفق لا بد منه في حياة الناس في كل تجمع سكاني جديد.

ورغم أن عموم المجتمع الجزائري معروف بأنه مجتمع محافظ على تعاليم الإسلام، إلا أن بعض المناطق منه تُعرف بين الجزائريين بأنها أكثر حرصا على القرآن الكريم، حفظا وتحفيظا وإعلاء من شأن القرآن وأهله، ومنها منطقة الجنوب الشرقي وعلى رأسها منطقة وادي سوف. هذه السيرة الحسنة والصورة المشرفة لم تأت من فراغ، بل هي ثمرة الجهد الكبير والعمل الدؤوب والاستمرارية والمداومة على النشاط التعليمي الذي يقوم به الأئمة ومعلمو القرآن الكريم، في كل البلدات والقرى والمداشر.

وقد أصبح من نافلة القول أن نجاح الإمام ومعلم القرآن في أداء الدور المنوط به، مرهون باستقراره في المسجد، ولا يمكن أن تنجح المدارس القرآنية إلا بالاستمرارية والانضباط في العمل، والصرامة مع التلاميذ والالتزام بطرق التحفيظ التي أثبتت نجاحها

33- لقاء مع المجاهد محمد وادة، في بيته، يوم 2022/08/21.

ونجاعتها.

توصيات:

- إن الحفاظ على الهوية الوطنية الإسلامية، والحفاظ على وحدة المجتمع الجزائري، تتطلب اهتمام أكثر من الجهات الرسمية، ومن طرف أفراد المجتمع وهيئاته كذلك بالمؤسسة الدينية، والإعلاء من شأن الأئمة ومعلمي القرآن وتحسين ظروفهم الاجتماعية، ليتفرغوا لمهمتهم الجليلة، ويبدلوا في سبيلها كل جهدهم.
- الاهتمام أكثر بتحفيظ القرآن وتشجيع الحفظة، لأن كل ذلك يساهم في العملية التربوية، وتحقيق النجاح في الدنيا والآخرة، وحماية الأبناء من الآفات الاجتماعية والأفكار والعقائد الهدامة التي تُهدق بهم.
- فتح مناصب عمل دائمة خاصة بالأئمة ومعلمي القرآن تتناسب مع عدد المساجد في كل القطر الجزائري. وتعميم التجارب الناجحة للمدارس القرآنية.
- تخليد ذكرى البارزين من الأئمة ومعلمي القرآن بنشر سيرتهم، وتسمية بعض المرافق كالمساجد والمدارس القرآنية بأسمائهم. فذلك يصب في إطار الرفع من قيمة القرآن وأهله، والإعلاء من شأنه بين النشء.

8. قائمة المراجع:

- . القرآن الكريم.
- محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، تح: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 2002م.
- مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- إبراهيم محمد الساسي العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، مطبعة ثالة، الجزائر، 2007.
- علي غنابزية، فصول ودراسات في تاريخ الحركة الوطنية والثورة التحريرية بوادي سوف (1854-1962)، مطبعة سامي، الوادي، الجزائر، ط1، 2022.
- يوسف زغوان، 2014/2015، التعليم الحر بوادي سوف (1931-1962م) من خلال الوثائق المحلية والروايات الشفوية، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، كلية الإنسانية والاجتماعية، جامعة الوادي، الجزائر.
- لقاء مع الحاج عبد الله معامير، في مسجد النعمان بن بشير بورماس، يوم 25/05/2022.
- لقاء مع الأستاذ الحبيب سالم، في بيته، يوم: 02/06/2022.
- لقاء مع الطالب الحاج علي حجاج، في بيته، يوم: 02/06/2022.
- لقاء مع الحاج علي المكي مرابط، في بيته، يوم: 03/06/2022.
- لقاء مع الأستاذ إبراهيم زياد، في بيته، يوم: 06/06/2022.
- لقاء مع ابنه بوساحة جمال، يوم 15/08/2022.
- لقاء مع الحاج مسعود بلي بن عمار وأحمد بوساحة، يوم 19/08/2022.
- لقاء مع المجاهد محمد وادة، في بيته، يوم 21/08/2022.
- لقاء مع الأستاذ العروسي مكاوي، في بيته، يوم: 23/08/2022.